وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جـــامعـــــة ديالـــــى
كليـــــة التربـــيـــــة
قســـم اللغة العربيـة

الوَهْم في نسبة الآراء النحوية إلى الكوفيين في ضوء كتب الخلاف النحوي

رسالة تقدمت بها

بشرى عبد المهدي إبراهيم التميمي

إلى مجلس كلية التربية في جامعة ديالى، و هي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها

بإشراف الأستاذ المساعد

الدكتور: علي عبد الله حسين العنبكيّ

1429هـ 2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على ما عرفنا من نفسه، و ألهمنا من شكره، و فتح لنا من أبواب العلم بربوبيته، و الصلاةُ و السلامُ على سيدنا مُحمَّد المُنَزَّل عليه: (إنّا أنزلناه قُرآناً عَرَبيّاً لَعَلَّكُم تَعقلونَ)[1]، و على آله الطيبين الطاهرين، و أصحابه المنتجبين.

أمّا بَعْدُ:

فقد كنتُ في السّنة التحضيرية، كثيرة البحث و المتابعة عن موضوع يستحق بذل الوقت و الجهد، إلاّ أنني لم أجد ضالتي المنشودة، إلى أن ذكر أمامي أستاذي المشرف الدكتور علي عبد الله العنبكي موضوع الوهم في اللغة و النحو، فرأيت أنّه موضوع يستحق الجهد و العناء.

و بعد أنْ اطلعت على المصادر و قرأتُ الكثير من كتب اللغة و النحو، وجدته موضوعاً واسعاً يستحق أنْ يكون أطروحة دكتوراه، لذا قرّرت أنْ أحصر الموضوع في كُتبِ الخلافِ النحوي، لأنّها تعتمدُ على ذكرِ الآراء، وبعد اطلاعي على كتبِ الخلاف التي بين يدي، فضلت أنْ أدرس الآراء النحويّة المنسوبة إلى الكوفيين فقط، تاركة المجال لغيري من الزملاء لدراسة الوهم في الآراء المنسوبة إلى البصريين، و ذلك لسعةِ الموضوع و تشعبهِ كما ذكرت.

و قَدْ دفعني إلى التمسك بهذا الموضوع، أنّه لم يفرَد لهُ بحث يخصّهُ و إنّما كانَ يُشارُ إليه بينَ طَيّاتِ الكتب و الرّسائل التي قامت على دراسة الخلاف النّحويّ.

و لا عجَب أنْ يكون اسم (الإنصاف) و مؤلفه، الأكثر تردداً بين صفحات رسالتي، نظراً إلى مكانة هذا الكتابِ بينَ كُتُبِ الخلافِ الأُخرى، فهوَ أوّلُ كتاب يصل إلينا منفرداً في الخلاف بين البصريينَ و الكوفيين، كما أنّه أطول تلك الكتب بالنسبة إلى مناقشة المسائل، فضلاً عن ذلك، فإنّ غيره من كتب الخلاف التي جاءت بعده، كانت متأثرة به و معتمدة عليه في طريقة البحث و عرض المسائل.

و قد حاولت أنْ أجعل رسالتي بعيدةٌ عن الأشياء التي قد تخرجها عن موضعها الأصلي، فلم أكتب في نشأة النّحو الكوفيّ، و لم أتوسع في الكتابة عن نشأة الخلاف النحوي، بلْ حاولتُ الاختصار قدر الإمكان إلا في حدود ما ستوجبه عرض الموضوع،

---

[1]– يوسف/ 2.

لذا قمتُ بتقسيم رسالتي على تمهيدٍ بعنوان (كتب الخلاف النحوي في وصفٍ عام) ذكرت فيه الكتب المطبوعة، و غير المطبوعة، و ثلاثة فصول كانت على النحو الآتي:

الأول: تحدّثتُ فيه عن علاقة الوهم بالخلاف النحوي، و أشكال الوهم و أسبابه، و قد جعلته في ثلاثة مباحث، الأول بعنوان (الوهم و علاقته بالخلاف النحوي)، ذكرْتُ فيه معنى الوهم في اللغة و الاصطلاح، و الفرق بينه و بين مصطلح التوهم النحوي، و علاقته بالخلاف، و تطوّره، إلى أنْ انْطَفَأت جذوته.

أمّا المبحث الثاني، فجاء بعنوان (الوهم المتعمد و أسبابه)، و قَدْ كانت لي وجهة نظر في هذا الموضوع، إذْ جمعْتُ تحتَه ما رأيتُ أنّهُ أسبابٌ دعت إلى الوهم المتعمد، و قَد عرضْتُ تلك الأسباب، و أتيتُ بشواهد عليها من كتب الخلاف النحوي، و لا سيما كتاب الإنصاف.

و أمّا المبحث الثالث، فقد سمّيته (الوهم غير المتعمد و أسبابه)، جمعْتُ تحته أسباباً أعتقد أنّها كانت وراء الوهم غير المتعمد الذي وقع فيه مؤلفو كتب الخلاف، و قد رتبتها على النّحو الذي اعتقدته مناسباً.

و في الفصل الثاني، وثّقتُ الآراء النحويّة في المسائل التي وقع فيها الوهم و الالتباس في الأسماء و توابعها و ما يتصل بها- محاولةٌ- بعد الاستعانة بالله أنْ أُصحّح ما وقع فيه الخطأ و السّهو من تلك المسائل، و أُعالجها من خلال مصادرها الأصلية بالعودة إلى كتُب الكوفيين المتوافرة بين يدي، و قد جعلتُ هذا الفصل في مبحثين:

الأول: كانَ في الأسماء المعربة، و تتضمن المرفوعات، و المنصوبات، و المجرورات، و الثاني: كان في الأسماء المبنيّة.

أمّا الفصل الثالث: فقد كان في توثيق الآراء التي وقع فيها الوهم في الأفعال و الأدوات.

ثُمّ ختمتُ البحث بخاتمة أجملتُ فيها ما توصلْتُ إليه من نتائج هذه الدراسة.

و أودُّ أنء أبيّنَ هنا أنَّ هذا الموضوع مُتشابكُ الأطراف تداخَلَتْ مكوناته فيما بينها بشكلٍ ملحوظ، لاسيَّما في المبحثين الثاني و الثالث من الفصل الأول، و لذلك عانيْتُ منهُ الكثير، و احْتجْتُ فضلاً عن كتُب الخلاف النحوي- إلى اللجوء إلى كثير من المصادر و المراجع، و ربّما قَدْ غابَتْ عنّي مصادرَ أخْرى لم أتمكّن من الحصول عليها، لا سيما المصادر الكوفيّة.

و لا تفوتني الإشارة إلى أنَّ بعضَ الأجلاّء قد سبقوني إلى الكتابة في الموضوع، مثل الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، الذي تناول المسائل التي وقع فيها الوهم في

كتاب الإنصاف في كتابه (ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف)، و الدكتور محمّد خير الحلواني الذي درس كتاب الإنصاف أيضاً في رسالته الموسومة بـ (كتاب الإنصاف و الخلاف النّحوي بين المذهبين)، و قد تطرّقَ إلى المسائل الخلافيّة النّي نسب الأنباري فيها القول إلى الكوفيين وهماً و أنا أُقرّ بفضلِ مَنْ سبقَني إلى البحث في هذا الموضوع.

و لا يفوتني أنْ أقدم شكري و امتناني إلى منْ قَدَّمَ لي يد العون، و أخصُّ بالذكر منهم الأستاذ الفاضل كريم سلمان الحمد- رحمه الله تعالى- الذي كانَ كرمه بلا حدود، فقد قَدّمَ إليّ كثيراً من المصادر لا سيّما القديمة منها، و لا أنسى زملائي و زميلاتي الذين كانَ لهُم فضلُ توفير المصادر و المراجع و إيصالها إليَّ، فجزاهم الله عني-جميعاً- خير جزاءِ المحسنين.

و أخيراً، فإنّي ألتمسُ من أساتذتي الكرام، أنْ يقوّموا ما وَقع في هذا العمل من أخطاء، و أنْ يرتقوا بها إلى درجةِ القبول و الرِّضا، و لا أقولُ إلى درجة الكمال، فالكمالُ للهِ تعالى وَحدَهُ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

التمهيد

كتب الخلاف النَّحوي في وصفٍ عام

كتب الخلاف النحوي:

لا شك في أنّ الخلاف بين النحويين بعامة و البصريين و الكوفيين بخاصة، قديم قدم علم النّحو، لذا تنبّه الباحثون والعلماء الأوائل إلى هذا الأمر، فألفوا كتباً مخصصة لعرض أوجه الخلاف بين علماء المدرستين، و بينوا آراء كلَّ فريق في كُلِّ مسألة، و قد ذكرتْ التراجم تاريخ تلك الدراسات، و منْ خاضَ غمارَها[1].

و يمكن تصنيف تلك الكتب في ضمن مجموعتين:

الأولى: الكتب المفقودة، و هي:

1. **المهذّب في النّحو[2]:**

لأبي عليّ، أحمد بن جعفر الدّينوري، و أصله من الدّيْنور، أحد النّحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر، قَدِمَ البصرة، و أخذَ عن المازني، و حمل عنه كتاب سيبويه، توفي في مصر سنة تسع و ثمانين و مئتين[3]

2. **اختلاف النحويين[4]:**

لأحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، ابي العباس ثعلب الشيباني، إمام الكوفيين في النَّحو و اللغة، توفي سنة إحدى و تسعين و مئتين[5]

3. **المسائل على مذهب النحويين، مما اختلف فيه البصريون و الكوفيون[6]**

لأبي الحسن محمّد بن أحمد بن كيسان، كان بصرياً كوفياً، خلط المذهبين و أخذ عن الفريقين، توفي سنة تسعة و تسعين و مئتين[7]

---

[1]– ينظر: مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها– دراسة موازنة– رسالة ماجستير: 18–19.

[2]– ينظر: طبقات النحويين و اللغويين: 215، و معجم الأدباء: 240/2.

[3]– ينظر: معجم الأدباء: 239/2–240، و أنباه الرواة على أنباه النحاة: 33/1.

[4]– ينظر: الفهرست:81.

[5]– ينظر: معجم الأدباء: 102/5–103.

[6]– ينظر: الفهرست:89، و سماه القفطي في أنباه الرواة:59/3 (اختلاف البصريين و الكوفيين) و ذكره السيوطي في بغية الوعاة: 19/1 باسم (ما اختلف فيه البصريون و الكوفيون).

[7]– ينظر: طبقات النحويين و اللغويين:153.

4. الواسط[1]

لأبي بكر بن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان...النحوي اللغوي الأديب، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين، و أكثرهم حفظاً حتَّى قيل عنه: ((كان من أعلم الناس بالنّحو و الأدب و أكثرهم حفظاً))[2] .
توفي سنة ثمان و عشرين و ثلاث مئة[3].

يقول الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم عن كتاب (الواسط): ((لا يفهم ممّا نقله عنه الشّجري في أماليه[4] أنّه من كتب الخلاف، انتصر فيها أبو بكر لمذهبه الكوفي))[5].
أمّا سعيد الأفغاني فقد نسب كتاب (الواسط) إلى أبي البركات (ت577ه)[6].

5. المقنع في اختلاف البصريين و الكوفيين[7]

لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل المعروف بالنَّحاس، من أهل مصر، رحل إلى بغداد، كان واسع العلم، غزير الرّواية كثير التأليف، توفيّ سنة سبع و ثلاثين و ثلاث مئة، و في بعض التراجم ثمان و ثلاثين و ثلاث مئة[8]

6. الرد على ثعلب في اختلاف النحويين[9]

لأبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه، نحوي جليل القدر، مشهور الذكر، جيّد التصانيف، و كان شديد الانتصار لمذهب البصريين في اللغة و النحو، توفي سنة سبع و أربعين و ثلاث مئة ببغداد[10].

7. الاختلاف[1]

---

[1]- معجم الأدباء:306/18.

[2]– تاريخ بغداد: 182/3، و ينظر: البداية و النهاية: 196/11.

[3]- ينظر: العبر في خبر من غبر:28/2، 31.

[4]– ينظر: الأمالي الشجرية: 148/2، 154.

[5]–ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين: 124.

[6]– ينظر: من تاريخ النحو:92.

[7]– ينظر: طبقات النحويين و اللغويين:221، و أنباء الرواة: 103/1.

[8]- ينظر: طبقات النحويين و اللغويين:220، و الإعلام: 199/1.

[9]- ينظر: الفهرست:380، و أنباه الرواة: 114/2.

[10]- ينظر: الفهرست:68، و بغية الوعاة: 2/

لعبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله الأزدي، أبي القاسم النّحوي، توفي سنة ثمان و أربعين و ثلاث مئة[2].

8. الخلاف بين النَّحويين[3]

لأبي الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي المعروف بالرماني، برع في علم اللغة و النحو، و الأصول و التّفسير، توفي سنة أربع وثمانين و ثلاث مئة[4].

9. كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين[5]

لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، من أكابر أئمة اللغة، توفي سنة تسعين و ثلاث مئة، و قيل سنة خمس و تسعين و ثلاث مئة[6]، و هو الأرجح.

10 .المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة و الكوفة[7]

لأبي محمد ابن الفرس، و اسمه عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري الخزرجي الغرناطي، إمام في العربية و اللغة و التفسير، توفي سنة سبع و تسعين و خمس مئة[8].

وهناك كتب أخرى في الخلاف النحوي أحصاها الدكتور عبد الرحمن العثيمين محقق كتاب (التبيين عن مذاهب النحويين البصريين و الكوفيين)، و ذكر أنَّ تلك المؤلفات- مع كثرتها- لم تصل إلينا[9]

---

[1]- ينظر: معجم الأدباء:62/12، و بغية الوعاة: 128/2.

[2]- ينظر: معجم الأدباء: 61/12.

[3]- ينظر أنباه الرواة: 295/2.

[4]- ينظر: نزهة الألباء: 217، و النجوم الزاهرة: 168/4.

[5]- ينظر معجم الأدباء: 85/4، و سماه السيوطي في(بغية الوعاة): 352/1 (اختلاف النحويين).

[6]- ينظر: نزهة الالباء: 219، و البداية و النهاية: 335/11.

[7]- ينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة: 132، و ذكره (عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين): 196/6.، باسم (مسائل الخلاف في النحو).

[8]– ينظر: سير أعلام النبلاء: 364/21–365.

[9]- ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين و الكوفيين (المقدمة): 78–82.

المجموعة الثانية: الكتب المطبوعة- و هي التي وصلت إلينا- قال الدكتور العثيمين:((لم يصل إلينا من كتب الخلاف في النحو إلاّ كتاب ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، و كتاب العكبري هذا، و كتاب اليمني ائتلاف النصرة))[1]

و قال الدكتور طارق الجنابي محقق كتاب (ائتلاف النَّصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة): ((هو رابع أربعة كتب في الخلاف النحوي ترزق النشر، و الأخرى:الإنصاف للأنباري، و مسائل خلافية للعكبري[2] ، و التَّبيين في الخلاف بين البصريين و الكوفيين للعكبري أيضاً، و كان كثير من العلماء القدامى و المتأخرين قد وضعوا كتباً في الخلاف النّحوي لم يصل إلينا منها شيء حتى الآن، و لعل الغد كفيل بأن يميط اللثام عن عدد منها))[3].

و كتاب ((مسائل خلافية في النحو) لأبي البقاء العكبري، جزء من كتاب التبيين؛ لأنَّ مسائله الخمس عشرة الأولى من كتاب التبيين بحروفها، ((فعلاقته بالتبيين علاقة الجزء بالكل فهو جزء منه))[4]

و خلاصة القول إنَّ الكتب الخلافية المطبوعة التي وصلت إلينا هي: كتاب (الأنصاف) للأنباري، و كتاب (التبيين عن مذاهب النَّحويين البصريين و الكوفيين للعكبري، و كتاب (ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة) لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي اليمني)[5].

كتب الخلاف –المطبوعة- في وصف عام:

أولا:الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين[6]

للإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي، المولود سنة 513، و المتوفي في سنة 577 من الهجرة[1] .

---

[1]- ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين و الكوفيين (المقدمة): 78–82.

[2]– حققه محمد خير الحلواني، و نشره.

[3]– ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة (المقدمة): 12.

[4]– التبيين، قسم الدراسة:72.

[5]- ينظر: مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها:22.

[6]- نزهة الالباه:277، ورد باسم (الإنصاف في مسائل الخلاف)، و في سير أعلام النبلاء: ذكر باسم (الإنصاف في الخلاف بين البصريين و الكوفيين)، و في كشف الظنون: 182/1نظر باسم (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين)

قال الدكتور فاضل السامرائي: ((إنّ كتاب الإنصاف هو أقدمُ كتابٍ وصلَ إلينا في الفصل بين البصريين و الكوفيين في المسائل الخلافية، و هو كتاب ممتع جليل))[2]

ذكر مؤلفه في المقدمة سبب تأليفه، قائلاً: ((و بعد، فإنَّ جماعةٌ من الفقهاء و المتأدبين، و الأدباء المتفقهين، المشتغلين عليّ بعلم العربية، بالمدرسة النظامية-عمّر الله مبانيها، و رحم الله بانيها: سألوني أنْ ألخص لهم كتاباً لطيفاً-يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة و الكوفة، صنّف في علم العربية على هذا الترتيب... فتوخيت إجابتهم على وفق مسألتهم، و تحريت إسعافهم لتحقيق طلبتهم، و فتحت في ذلك الطريق، و ذكرت من مذهب كل فريق، ما اعتمد عليه أهل التحقيق، و اعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التعصب و الإسراف))[3].

و يقول الدكتور محمد خير الحلواني: ((في عصر أبي البركات زادت الأواصر تواشجاً بين الفقه و دراسات النحو حتى أن كثيراً من الكتب النحوية اتخذت عناوينها من كتب فقهية))[4]، و كتاب الإنصاف ((الذي ألفه الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري الشافعي المتوفى (548 ﻫ) باسم ((الإنصاف في مسائل الخلاف))[5].

يقول الدكتور مهدي المخزومي: ((و كتاب الإنصاف من المراجع المهمة التي لابدَّ أنْ يرجع إليها الدارس الذي يحاول الوقوف على أعمال النحاة من أهل الكوفة، و على أساليبهم في تناول المسائل النحوية))[6].

و ذكر الأستاذ كريم سلمان الحمد أن الكثير من الباحثين قد تعرضوا لكتاب الإنصاف بالنقد و الدراسة، ((فقد قدم له محققه أول مرة (جوتولدفايل) بما يقرب من مئة و عشر أوراق باللغة الألمانية إذ طبع في أوربا، ثم قام بنشره و طبعه في مصر محمد محيي الدين عبد الحميد-رحمه الله- وقد أعيد طبع هذه النسخة و هي المتداولة و المعروفة بين طلاب النحو))[7].

---

[1]- ينظر: وفيات الأعيان: 230/2، و البداية و النهاية: 311/12، و هدية العارفين: 519/5.

[2]- أبو البركات بن الأنباري و دراساته النحوية:60.

[3]– الإنصاف في مسائل الخلاف...(المقدمة):5.

[4]- كتاب الإنصاف و الخلاف النحوي بين المذهبين: 102–103.

[5]- كشف الظنون: 182/1. و ينظر: أبو البركات بن الانباري و دراسته النحوية:61.

[6]- مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو: 359–360.

[7]- مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 116.

كما و تعرض له بالدراسة، و كشف كثير من جوانبه بعض الباحثين[1]، فضلاً عن المؤلفات التي درست الخلاف، أو درست إحدى المدرستين البصرة[2]، أو الكوفة[3].

تناول كتاب الإنصاف أهم موضوعات الخلاف، و قد لنا إحدى و عشرين و مئة مسألة من المسائل النحوية التي وقع فيها الخلاف بين البصريين و الكوفيين، ثم قام بشرحها و الاستدلال لها في ضوء مبادئ المدرستين في النقل و القياس، و الكتاب من المصادر المهمة التي لا بد من العودة إليها[4]، فهو ((حافل بقواعد أصولية عامة، غير المسائل الكثيرة التي يسوق إليها الاستطراد، أما الشواهد و كثرتها فحدث عنها و لا حرج، إذ هي عمدة كل فريق في نصرة ما يذهب إليه))[5]، كما و أنه عرض لنا أهم ما اختلفت فيه المدرستان البصرية و الكوفية من مسائل الخلاف من وجهة نظر أبي البركات، ووراءها مسائل أخرى كثيرة مبثوثة في الكتب النحوية[6]. ((و نظرة إلى كتاب الإنصاف ترينا أنه أدق و أنضج من أي كتاب تناول مسائل الخلاف... من خلاله نستنبط الأسس و المبادئ لكلتا المدرستين))[7].

و أخيراً فإنه كتاب فريد في بابه، و من أحسن ما وضعه العلماء في العربية، بين فيه أبو البركات آراء البصريين و الكوفيين، و قد احتوى على اثنين و خمس مئة شاهد[8].

ثانياً: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين و الكوفيين[9]

لأبي البقاء العكبري (538هـ-616هـ)[10].

---

[1]- ينظر: أبو البركات بن الأنباري و دراساته النحوية/ الدكتور فاضل السامرائي، و كتاب الخلاف النحوي بين البصريين و الكوفيين و كتاب الإنصاف/محمد خير الحلواني، و ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين/ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم.

[2]- ينظر: مدرسة البصرة النحوية نشأتها و تطورها/ الدكتور عبد الرحمن السيد.

[3]- ينظر: مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو/ الدكتور مهدي المخزومي.

[4]- ينظر: تاريخ النحو و أصوله (القسم الأول: النحو بين البصرة و الكوفة):322.

[5]- من تاريخ النحو:155.

[6]– ينظر: المدارس النحوية (د.شوقي ضيف): 155، و مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها: 24.

[7]– تاريخ النحو و أصوله: 232.

[8]- ينظر: الشواهد و الاستشهاد في النحو:11.

[9]- حققه الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، واصل هذا الكتاب رسالة نال بها العثيمين شهادة الماجستير في اللغة العربية و آدابها من جامعة أم القرى 1396 هـ، و نشره سنة 1986م.

[10]- ينظر: التكملة لوفيات النقلة: 461/2، و البلغة في تاريخ أئمة اللغة:108، و اللباب في تهذيب الأنساب: 351/2، و أنباه الرواة على أنباه النحاة: 117/2، و بغية الوعاة: 39/2.

قال محققه: ((كتابُ التبيين هذا هو ثاني نص ينشر من كتب الخلاف النحوي، فقد سبقه في الظهور كتاب الإنصاف للأنباري))[1].

و قد ذكره الصفدي باسم (مسائل الخلاف في النحو) عندما ذكر تصانيف أبي البقاء[2]. و أن هذا المصنف نفسه هو كتاب (التبيين)[3].

يقول الدكتور عبد الرحمن العثيمين: ((لم يذكر أحد من أصحاب الطبقات و التراجم التي اطلعت عليها، أن لأبي البقاء كتاباً باسم (التبيين عن مذاهب النحويين)...، إذا استثنينا السيوطي الذي ذكره باسم (التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين)[4]

و يقول الدكتور رزق الطويل: ((و تذكر المراجع للعكبري كتاباً آخر اسمه (التبيين) و نقل السيوطي كثيراً من مسائله، و مضى في بحثه على نهج الانباري))[5].

يحتوي الكتاب على خمسٍ و ثمانين مسألة، قسمها الدكتور العثيمين على ثلاثة أقسام[6]:

1. مسائل خلافية ليست بين البصريين و الكوفيين، و عددها ثمان و عشرون مسألة، جاء الخلاف فيها بين النحويين عامة، أو ما كان بين النحويين من جهة، و أهل اللغة من جهة أخرى، مثل المسألة الأولى[7]، و أحياناً يكون الخلاف في المسألة بين أصحاب المذهب الواحد كما في مسألة (ما) التعجبية[8].
2. مسائل خلافية انفرد بذكرها العكبري و هي بين البصريين و الكوفيين، و لم تذكرها كتب الخلاف الأخرى التي وصلت إلينا، و عددها مسألتان: الأولى (مسألة الإعراب أصل في الأسماء)[9]، و الثانية (مسألة نيابة المفعول به عن الفاعل مع وجود الظرف و الجار و المجرور)[10].

---

[1]- التبيين...(مقدمة المحقق):5.

[2]- ينظر:نكت الهميان في نكت العميان: 119.

[3]- ينظر: التبيين...(المقدمة): 72.

[4]- المصدر نفسه...(المقدمة):71، و ينظر: الأشباه و النظائر: 141/1، 154، 266/2.

[5]- الخلاف بين النحويين: 430، و سماه السيوطي في بغية الوعاة:39/2 (التعليق في الخلاف.

[6]- ينظر: التبيين (القسم الأول: الدراسة):86، 87.

[7]- ينظر: المصدر نفسه (المسألة (1)):113.

[8]- ينظر: المصدر نفسه (المسألة (41)): 282.

[9]– ينظر: التبيين...(المسألة (8)):153.

[10]- ينظر: المصدر نفسه (المسألة (38)): 268.

3. مسائل خلافية بين البصريين و الكوفيين ذكرها العكبري كما ذكرها الأنباري، و عددها خمس و خمسون مسألة[1].

و قد ((اتجه مؤلفه فيه الاتجاه البصري، لذا فإنه انتصر للبصريين في معظم مسائل الخلاف، و أيدهم في وجهة نظرهم، و خالف وجهة نظر الكوفيين و رد عليهم، كما حكّم في أصوله منهج البصريين))[2].

و أخيرا فإنَّ التبيين كتاب مهم، لابد من الرجوع إليه و الإفادة منه، فهو زاخر بالآراء و الأدلة و الشواهد[3].

ثالثاً: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة[4]

لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي اليمني (802ه)[5] لم يذكر أحد من أصحاب الطبقات و التراجم هذا الكتاب للشرجي، و يشير الدكتور طارق الجنابي إلى ذلك بقوله: ((و لم يذكر له هذا الكتاب؛ لأنه كان مسودة للمؤلف، و لم يذع و لم يشتهر))[6]. و قد رجح الدّكتور الجنابي أنَّ زمن تأليف الكتاب هو(800ه)[7].

يقول الشرجي عن تصنيفه لكتابه و تسميته: ((و صنفت هذا الكتاب اذكر فيه- إن شاء الله تعالى- اختلاف النحويين، الكوفيين و البصريين، سيبويه و أشياعه، و الكسائي و أتباعه، جعلته نظير ما صنفه الفقهاء من الثقات في الخلاف بين الشافعي و أبي حنيفة و غيرهما من العلماء- رحمة الله عليهم أجمعين- و اقتصرت فيه على ذكر اختلافهم في النحو و التصريف و الخط دون ذكر اختلافهم في سائر أنواع العربية... و سميته (كتاب ائتلاف النّصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة)))[8]

يحتوي الكتاب على أربع و عشرين و مئتي مسألة، نسقها على أقسام الكلمة: الاسم، و الفعل، و الحرف، و خصص لكل صنف حصته من المسائل، فهي ثلاث و ثلاثون بعد

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه (القسم الأول: الدراسة):87.

[2]- مناهج كتاب الخلاف النحوي و مواردها:28.

[3]- ينظر: المصدر نفسه:28.

[4]- حققه و نشره الدكتور طارق الجنابي، في الطبعة الأولى سنة 1407ه–1987م.

[5]– ينظر: أنباء الغمر بأبناء العمر: 168/4، و الضوء اللامع: 325/4، و بغية الوعاة:107/2، و شذرات الذهب: 17/7، و هدية العارفين: 616/5.

[6]– ائتلاف البصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة–مقدمة المحقق–104.

[7]- ينظر: المصدر نفسه:9.

[8]– نفسه– مقدمة المؤلف– 24–25.

المئة حصة الاسم، و خمس و ثلاثون مسألة حصة الفعل، و ست و خمسون مسألة حصة الحرف. و ((يعد كتاب (ائتلاف النصرة) كتاباً جليل القدر، عظيم النفع، لا يستغني عنه الدارسون؛ لأنه جمع فيه آراء من سبقه من البصريين و الكوفيين و النحاة عامة و المتأخرين منهم))[1] ، فهو كما يقول مؤلفه (اليمني): ((حاصر لأقاويلهم، مشتمل على جل تأويلهم، ما خلا ما لا يعتد به من خلافاتهم و أرجو أن يكون نافعاً في هذا الفن...))[2]. غير أنَّ هذا الكتاب جاء موجزاً، فلم يمل مؤلفه فيه إلى الإطالة و الإكثار من العلل و الشواهد[3] و يمكن عد ظاهرة الإيجاز هذه ظاهرة منهجية التزم بها مؤلفه في أغلب مسائل الكتاب، ((و لكنه إيجاز يتسم بالإيضاح و سهولة العبارة))[4].

و يكفي أن نوازن في مسألة واحدة اشترك بها مؤلفو الكتب الخلافية الثلاثة، حتى نرى مدى الفرق في منهجية عرض المسائل عند كل واحد منهم، ففي مسألة (القول في نعم و بئس، أفعلان هما أم اسمان؟)[5]، نجد أن الأنباري عرضها في (ثلاثين) صفحة، و استغرق عرضها عند العكبري (ثماني) صفحات، أما الشرجي فقد اختصرها في (أربع) صفحات فقط.

الوهم في اللغة و الاصطلاح:

الوهم لغة:

((الوَهْمُ: وَهْمُ القلب، و الجمعُ: أوْهام، و توَهمّتُ في كَذا، و أوْهَمْتُه: أي أغفلتُه، و التُهْمةُ أُشْتُقَّت منَ الوَهْم، و أصلها (وهمة)، إتهَمْتَه: افتعلتُه، و اتمهته، على بناءٍ

---

[1]- مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها: 31.

[2]- ائتلاف النصرة–مقدمة المؤلف–:25.

[3]- ينظر: المصدر نفسه– المقدمة–:12.

[4]- مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها: 69.

[5]- ينظر: الإنصاف (المسألة (14)): 97/1 و التبيين (المسألة (40)): 274، و ائتلاف النصرة (المسألة (4)) فصل الفعل: 115.

أفْعلتُ، أي أدخلتُ عليهْ التُهْمة، و يقال: وهمْتُ في كذا: أي غَلِطْتُ، ووهم إلى الشيء يَهيمُ، أي ذَهبَ وهْمُهُ إليهِ))[1]

و قال الزمخشري: ((وهمْتُ الشيءَ أهمُهُ وَهْماً، و تَوهّمْتُهُ: وقعَ خُلْدي، و شيءٌ مَوْهومٌ و مُتوهّم، قال أبو زبيد:-من البسيط:

و استحدثَ القومُ أمراً غيرَ وَهِمُوا وَطارَ أنْصارُهُم شتّى و ما جُمِعُوا

ظنّوا أنّهم يَغْلِبونَني فاستحدثُوا الفَزَع و الجُبْنَ، ووهِمْتُ به سوءاً و توهّمْتُه به، و أوهَمَنيهُ غَيْري وَوهّمَنيهُ، و اتهمَ بكذا، و فُلان مُتّهم: يتّهِمُ الناسَ و هُوَ صاحِبُ تُهْمَةٍ وَ تُهَمٍ))[2] .

و جاء في لسان العرب: ((و توهّمَ الشيءَ تخيّلهُ و تمثّلهُ كانَ في الوجود أو لم يكن. و... توهمتُ الشيءَ و تفرّستُه و توسّمتهُ و تبينتُه بمعنى واحد... و الله عزّ و جلّ لا تدرِكهُ أوهامُ العِباد. و قال ثعلب: يقال: وهمتُ في كذا و كذا أي غلطت... ووهِم بكسر الهاء: غَلَطَ و سَها، و أوْهَمَ في الحساب كذا أسقط))[3]

الوهم اصطلاحاً:

لم يضع له المتقدمون تعريفاً اصطلاحياً شاملاً و واضحاً، و قد عرفه المحدثون بأنّه: ((نوع من التخيّل العقلي لأمور غير موجودة يبني عليها الإنسان تصرّفاً معيّناً، فإن صَحَّ توهُمُه انتهى إلى تبيينٍ و معرفةٍ، و إذا لم يصحّ انتهى إلى الغلط و السهو))[4]. و الدليل على كون الوهم نوع من التخيل، ما جاء في كتاب الصاحبي: ((قيل لأعرابي ما القلم؟ فقال: لا أدري، فقيل له: توهمه، فقال: هو عودٌ قُلِّمَ من جانبيه كتقليم الاظفور فسُمّيَ قلماً))[5].

الفرق بين مصطلح الوهم، و مصطلح التوهم:

---

[1]- العين(وهم): 100/4.

[2]- أساس البلاغة (وهم):511.

[3]- لسان العرب (وهم): 643/12.

[4]- ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية و الصرفية، للسيد رزق الطويل: 72. و هي مقالة منشورة في (مجلة معهد اللغة العربية) العدد الأول: 1402–1403هـ.

[5]- الصاحبي في فقه اللغة: 98–99.

التوهم مصطلح خاص بالصرف و النحو، و قد عرفه المحدثون تعريفات اصطلاحية صرفية و نحوية.

فمن التعريفات الصرفية، قول محمد بهجة الأثري، أنه: ((انحراف السلائق عن قانونها النفسي الذي يحكمها، و تجري عليها صورها الاشتقاقية إطراداً على نسقٍ معين))[1].

و من التعريفات النحوية، قول محمد خير الحلواني: ((هو حالة نفسية تلم بالشاعر أو الناثر في لحظات الإبداع حيث يستغرق فيما هو فيه، و حينئذٍ تسيطر عليه قوالب اللغة و أعرافها التركيبية التي يختزنها في ذهنه فيتوهم أنه استعمل تركيباً ما، و يكون قد استعمل غيره فيبني ما يليه من التراكيب على ما يتوهمه لا على ما استعمله))[2].

قد يكون التوهم عند بعضهم منقسماً على قسمين: غلط و صواب، كما هو الحال عند القراء، فقد ذكر التوهم في مواضع متعددة من كتابه (معاني القرآن)، و هو يجيزه، بدليل أنه يفرض أحياناً وجوهاً من القراءة، تحمل مصطلح التوهم ثم يحكم عليها بالصحة، من ذلك مثلاً، قوله في الآية الكريمة {و الأنعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيْها دِفءٌ و مَنافِعُ و منها تأكلونَ... و الخَيْلَ و البِغالَ و الحَميرَ}[3]، ((و لو رفعت (الخيل و البغال و الحمير) كان صواباً من وجهين أحدهما... و الآخر أنْ يتوهم أنَّ الرفعَ في الأنعام قد كانَ يصلح فتردها على ذلك كأنّكَ قلت و الأنعام خلقها و الخيلُ و البغالُ و الحميرُ على الرفع))[4] كما علق على بعض المسائل بقوله: ((فهذا و إن كان توهّماً خطأٌ))[5].

كما في قراءة الأعمش[6]، و عاصم (يُؤُدُهُ)[7]، و (نُولّهِ ما تَوَلّى)[8]، و (خيراً يَرَهُ)[9]، و و (شرّاً يرهُ)[10] بجزم الهاء إذْ حملها على توهم أنَّ الحرف من الكلمة نفسها[11].

---

[1]- نظرات فاحصة...:122.

[2]- أصول النحو العربي: 118–119.

[3]- النحل/ 5–8.

[4]- معاني القرآن: 97/2.

[5]- المصدر نفسه: 223/1.

[6]- ينظر: السبعة في القراءات: 210.

[7]- البقرة/255.

[8]– النساء:115.

[9]- الزلزلة/7.

[10]- نفسها/8.

[11]- ينظر: معاني القرآن: 223/1.

أما مصطلح الوهم فهو- بلا شك- أعمّ و أشمل من مصطلح التوهم، و هو لا يقتصر على علم دون آخر، و قد أشار الباحثون إلى أنَّهُ تخيّلٌ عقليٌّ لأمور غير موجودة، و هذا التخيل لا يقف عند اللغة و النحو حصراً، بل يشمل علوماً أخرى مثل الطب، و الهندسة، و الفلك... و غيرها، فالخطأ و السهو وارد- لا محال- في كل باب من أبواب العلم، فسبحان الذي لا يسهو و لا يخطأ.

الوهم و الخلاف النحوي:

لابد من الإشارة إلى أن الوهم كان يسير جنباً إلى جنب مع الخلاف النحوي، بل يمكن القول إنّ الخلاف كانَ الأساس في نشوء الوهم و تطوره، ذا رأيتُ أنَّ لا مفر من الحديث عن الخلاف بشكل موجز لبيان أثره في خلق الأجواء المناسبة لنشأة الوهم. فقد كتب كثير من الباحثين[1] في الخلاف النحوي، و أشبعوا الموضوع بحثاً و دراسة، و تناولوه في جوانبه المتعددة. فكان لهم فضل السبق، و عليهم المعول و المعتمد في هذه الخلاصة التي أحاول أن أوجز فيها شيئاً عن بدء الخلاف، و أسبابه، و تطوره بين المدرستين، و احتدامه، و متى خفتت جذوته؟، و حقيقته، و نتائجه.

1. بدء الخلاف:

تعددت آراء الباحثين في بدء الخلاف النحوي، فكانت على النحو الآتي:

أولاً: اجتمعت الروايات على أنَّ أوّل بوادرِ الخلافِ وقعتْ بين الحضرمي و عيسى بن عمر من جهة، و أبي عمرو بن العلاء من جهة أخرى[2] . مثال ذلك حين عارض ابن أبي إسحاق الحضرمي الفرزدق حين سأله كيف تنشد هذا البيت؟

و عيْنانِ قالَ اللهُ كُنا فكانَتا فَعُلانِ بالألبابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ[3]

فقال الفرزدق: كذا أنشده، فقال له الحضرمي: ما كان عليك لو قلت (فعولين)؟ فقال الفرزدق: ((لو شئت أنْ أسبِّح لسبّحت))[4] و نهض فلم يعرف أحد في المجلس قوله. فقال الحضرمي: لو قال (فعولين) لا خبر أن الله خلقهما و أمرهما، و لكنه أرادهما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر. و قال ابن الإعرابي: (فعولين)[5] .

---

[1]- ينظر: الخلاف بين النحويين/ الدكتور رزق الطويل، و المدارس النحوية/ الدكتور شوقي ضيف، و المدارس النحوية/الدكتورة خديجة الحديثي، و ضحى الإسلام، (ج2) أحمد أمين، و الدرس النحوي في بغداد/الدكتور مهدي المخزومي.

[2]- ينظر: مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 17.

[3]- ديوان ذي الرمة: 213.

[4]- مجالس العلماء:66.

[5]- ينظر: المصدر نفسه:66.

ثانياً: ذكرَ الأستاذ أحمد أمين أنَّ الرؤاسي أنشأ مدرسة الكوفة في النحو، و قد وضع كتاباً في النحو لم يصل إلينا، و قيل أنَّ الخليل أطّلعَ عليه و أفادَ منه، من ذلك الحين و مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة. و ((بدأ الخلاف هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة، و الخليل في البصرة، ثُمَّ اشتدَّ بين الكسائي في الكوفة و سيبويه في البصرة، و صارَ لكلّ مدرسةٍ علم تنحازُ إليه كل فرقة))[1].

ثالثاً: و أمّا سعيد الأفغاني فإنّهُ قال عن نشأة الخلاف بين المدرستين: ((أوّلُ ما يُعرفُ من الخلاف بين البصريين و الكوفيين ما أثبته سيبويه في (الكتاب) من حكاية أقوال (الكوفي) أبي جعفر الرؤاسي على ما علمت آنفاً، و الظاهر أن مرافقة الرؤاسي للخليل في القراءة على عيسى بن عمر جعلت بينهما نوعاً من الأنس سمح للخليل أنْ يطلب من الرؤاسي كتابه، فروى منه بعض أقوال تلميذه سيبويه، فأثبتها هذا في كتابه. و لم يكن في هذا الخلاف و لا في غيره مما حدث بين البصريين أنفسهم يومئذٍ، أكثر من المذاكرة و حكاية الأقوال المخالفة و الرد عليها أحياناً، فأنت كثيراً ما تجد سيبويه يورد لشيخيه يونس و الخليل أقوالاً يخالفها فيقول: (...و زعم الخليل)، (.وزعم يونس)))[2].
رابعاً: و يقول الدكتور مهدي المخزومي: ((غير أنّنا نرجّحُ أنَّ التنافس بين نُحاة البصرة و الكوفة لا وجود له في عهد الخليل و أبي جعفر... و أكبرُ الظنَّ أنَّ التنافس بين نحاة المصرين إنّما ظهرَ في عهد الكسائي و سيبويه، و أقوها: خوفه أنْ يتقرّب سيبويه أو غيره من البصريين من السلطان، فيفقدُ الحظوةَ لديه))[3]

2. أسباب الخلاف

من الصعب تحديد أسباب الخلاف النحويّ، فقد يرى بعضهم أنَّ هناك أسباباً جوهريّة، و أخرى فرعيّة، و أغلبُ الظنّ أنَّ ما اطّلعنا عليه مِنْها ما هُوَ إلاّ اجتهادٌ اجتهدهُ الباحثون[4]، و يمكن أنْ نقسّم أسباب الخلاف على قسمين:

الأول:يمتدُّ إلى اختلافِ الآراءِ في اللغة و النحو.

و الثاني: يمتدُّ إلى أسبابٍ عامةٍ تتعلّق ببيئةِ المصرين البصرة و الكوفة.

---

[1]- ضحى الإسلام:294.

[2]- في أصول النحو:176.

[3]- مدرسة الكوفة...:66-67.

[4]- ينظر: مناهج كتب الخلاف النحوي و مواردها:8.

أولاً: الأسباب التي تمتد إلى الخلاف في اللغة و النحو، أهمها:

1. اختلاف اللهجات العربية:

سكن العرب الجزيرة و ما حولها، و كانوا يعيشون على شكل قبائل، و هذه القبائل اختلفت في لهجاتها[1]. و((إنَّ اللهجات تختلف في اللغة الواحدة تبعاً لاختلاف البيئة و الإقليم و ما يحيط بهما من ظروف))[2]. إذ كانت قريش أجود العرب انتقاءاً للأفصح من الألفاظ، و أسهلها على اللسان في النطق، و أحسنها مسموعاً، و إبانةً عمّا في النفس. و الذين نقلت عنهم اللغة للعربية و بهم اقتدي، و أخذ اللسان العربي عنهم من بين قبائل العرب هم: قيس، و تميم، و أسد، ثُمَّ هُذيل و بعض كنانة و بعض الطائيين، و لم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل[3]، و أنّ أفصح العرب عليا هوازن و سفلى تميم[4].

و الاختلافات اللغوية بين اللهجات في اللغة الواحدة يمكن إرجاعه إلى اختلافات صوتية، و اختلافات في النبر و النغمة الموسيقية و اختلافات في أصوات اللين و الحركات و غير ذلك[5].

2. تباين وجهات النظر في القراءات:

فقد نزل القرآن الكريم على النبي محمد (صلى الله عليه و سلم) منجّماً في ثلاث و عشرين سنة، و كانَ النبيّ (صلى الله عليه و سلم) يتلو الآيات على الصحابة فور نزولها، و كانوا يحفظونها و يتلونها، و تخفيفاً على القبائل و مراعاةً للهجاتها المختلفة كان الرسول (صلى الله عليه و سلم) يتلو كلماته بلهجات مختلفة[6]. باختلاف القبائل في النطق، و أداء الكلمات، فبعضها يسهّل حرفاً يشدّدها غيرها، و بعضها يفكّ أحرفاً يدغمها غيرها، و من هنا اختلف أداؤهم في قراءته، و كان الرسول (صلى الله عليه و سلم) قد أقرأ كلّ وفد بلهجة قبيلته، فنشأ عن ذلك اختلاف في القراءة حتى كان بعضهم ينكر قراءة بعضهم الآخر، و يتحاكمون إلى الرسول (صلى الله عليه و سلم) ليفضّ النزاع، و كان يقول لهم: ((نزل القرآن على سبعة أحرف))[7]. و ((هو لا يريدُ بالسبعة

---

[1]- ينظر: ضحى الإسلام:243/2.

[2]- لهجة تميم:30.

[3]- ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو:44.

[4]- ينظر: المزهر في علوم اللغة و أنواعها:211/1.

[5]- ينظر: لهجة تميم.

[6]- ينظر: السبعة في القرءان: مقدمة المحقق:5.

[7]- أبو حيان النحوي:277.

عدداً معيناً، إنّما يريدُ كثرة الحروف و اللّهجات التي نزل بها تسهيلاً على العرب أنْ ينطقوا من كلماته بلهجاتهم ما لا يمكنهم أنْ ينطقوه بلغة قريش و لهجتها الخاصة، و أخذ هو نفسه يصنع ذلك تيسيراً و تسهيلاً))[1].

و كان لاختلاف تلك القراءات بحسب تصنيف علماء القراءة أثرٌ في اختلاف مواقف النحاة منها؛ لكونها تعبّر عن لهجات مختلفة و تحمل معاني كثيرة و متباينة للنص القرآني أثارتْ حولها الجدل و النقاش و شجعت على التفكير و الاجتهاد[2]. إلاّ أنّ النحويين لا سيّما البصريين وقفوا من القراءات موقفاً خاصاً، فهم يؤولون ما لا يتفق و أقيستهم، و إذا أعجزهم التأويل شذذوا هذه القراءات وضعفوها و لحنوها، ووقفوا الموقف نفسه من القراءات الصحيحة المعتمدة المتواترة التي رواها جمع يستحيل تواطؤ أمثالهم على الكذب[3].

قال الدكتور المخزومي ((أمّا الكوفيون فلهم موقفٌ آخر يغاير موقف البصريين من القراءات كلّ المغايرة، فقد قبلوها، و احتجوا بها، و عقدوا على ما جاء فيها كثيراً من أصولهم و أحكامهم وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع القرّاء عليها، فلا يرفضون غيرها، و لا يغلطونها، لأنَّها صوابٌ عندهم أيضاً))[4].

و هناك أسبابٌ أخرى ذكرها من سبقني من الباحثين[5]، أرى أنّها تندرجُ ضمنَ أسباب الوهم[6]، و أنَّ الخلاف فيها قد يؤدي إلى الوهم، منها: تفاوت فهم العلماء للنصوص، و تباينهم في فهم أثر المعنى في الخلاف، و تباين الاجتهاد و التعليل.

ثانياً: أسباب عامة تتعلق ببيئة المصرين: البصرة، و الكوفة، هي:

1. الجانب البيئي:

فقد ((حافظت قبائل الكوفة على مقومات حياتها العربية بعدم امتزاجها مع العناصر غير العربية، في حين امتزجت قبائل البصرة- بحكم البيئة و ظروف الحياة- مع العناصر الأخرى ممّا أجبرهم على الوقوع فيما لم يكن يقع فيه عرب الكوفة من خطأ في

---

[1]- السبعة في القراءات: مقدمة المحقق:6.

[2]- ينظر: أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري: 121–122.

[3]- ينظر:أبو البركات بن الأنباري و دراساته النحوية:208.

[4]- مدرسة الكوفة...: 341. و ينظر: نحو القراء الكوفيين:68.

[5]- ينظر:مسائل الخلاف النحوي بين علماء البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 73–74. و أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري:119.

[6]- سأذكرها مفصلة–لاحقاً– في الفصلين اللذين عقدتهما لأشكال الوهم و أسبابه.

لسانهم، أو أنّ امتزاجهم تأخر عن امتزاج البصريين فكانت حاجة البصريين إلى ما يقوّم ألسنتهم أسبق من حاجة الكوفيين إلى ذلك))[1].

2. و الجانب الحزبي:

فالكوفة كانت علويّة، و البصرة عثمانية[2].

3. و الجانب العنصري:

((فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين، و أكثر أهل البصرة من المضريين))[3].

4. و الجانب العلمي:

فأهل الكوفة أصحاب فقه و حديث و قراءة، و أهل البصرة أصحاب علوم و فلسفات[4] .

5. و الجانب التشجيعي:

فقد أجمع الباحثون على أنَّ سعي العلماء للتقرب من الخلفاء كانَ حثيثاً لنيل الحظوة عندهم، و ما يتبعها من كسب المال و الجاه و النفوذ. و كان الكوفيون مقدمين على البصريين عند الخلفاء في بغداد أوّل نشأتها لأسباب كثيرة، ملخصها[5]:

أ. مواكبة علماء الكوفة انتقال الخلافة العباسية من الكوفة إلى بغداد

ب. و قرب الكوفيين من نفوس العباسيين لأنهم شيعة الإمام علي (عليه السلام) و مؤازروه. عندما كانت الكوفة مقرّاً لخلافته.

ج. و الكوفة كانت أدنى إلى العروبة و أقرب من البصرة بمن نزل فيها من القبائل العربية، و إنَّ المنصور كان يولي توازن العرب و غيرهم، في مدينته كثيراً من الرعاية و العناية.

د. و أهلُ البصرة أصعب قياداً و طاعة للسلطان من أهل الكوفة، فابتعد الخلفاء عن استقدامهم إلى بغداد.

هـ. و قُربُ الكوفة من بغداد جعل استقدام العلماء منها أسهل و أسرع.

---

[1]- مسائل الخلاف النحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 239.

[2]- ينظر: مدرسة الكوفة...:66، و نشأة النحو: 122، و المدارس النحوية (خديجة الحديثي): 274.

[3]- مدرسة الكوفة...:66.

[4]- ينظر: المصدر نفسه:66.

[5]- ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي): 274–275.

لهذه الأسباب مجتمعة، كان للكوفيين القدح المعلّى عند الخلفاء، و نالوا الحظوة عندهم أكثر من البصريين[1].

6. و الجانب السياسي:

يرى سعيد الأفغاني أنَّ بعض الباحثين جَرَوا على ردّ الخلاف النَّحوي بين البصرة و الكوفة إلى السياسة، و هو رأي سطحي لا يثبت عند التّدقيق، و يرى أيضاً: أنَّ نحاة المصرَيْن لم يختلفوا تبعاً لاختلاف سياسة بلديهم، فلا تأثير للسياسة في ذلك، و إنَّما هو التكتل استجابة للعصبية ليسَ غير[2].

و يرى بعضُ الباحثين أنَّ رأي الأفغاني صحيحٌ؛ ((لأنَّ السياسة لا علاقة لها في الخلاف بين البصرة و الكوفة، و إنَّما التّعصب الذي أُثيرَ بينهما))[3].

3. تطوّر الخلاف و احتدامه بين المدرستين:

كان الخلاف بين مدرستي البصرة و الكوفة في بدايته يتسم بالهدوء، ((و كان هذا طبيعياً لأنَّ أكثر علماء مدرسة الكوفة قد تتلمذوا على أيدي علماء البصرة، و مع مرور الزّمن بدأت مناهج المدرستين تتضح على يد سيبويه البصري و الكسائي الكوفي))[4]. إلى أنْ ((أصبحت مشكلة الخلاف من أبرز مشكلات النحو العربي بعدَ أنْ تعدّدت الآراء و تشابكت و اختلفت في المسألة الواحدة، فكانت أحكامهم مختلفة))[5].

و قد بدأت الدّراسة النحويّة في بغداد كوفية؛ و ذلك لأنّ هوى الحكام مع الكوفيين، فاتّجه النُّحاة الذين يرومون الشهرة و المال إلى بغداد، و من هنا كانت بغداد ملتقى للمنافسة و عقد المناظرات بين أعلام المدرستين، و كانَ الصّراع محتدماً و على أشدّه، و كلّ علم في مدرسة، يريد أنْ يحوز نصراً على منافسه في المدرسة الأخرى، لينال حظاً أكبر من المجد و الشُّهرة، و كان هذا هو الطابع الأغلب لعهد المدرستين[6].

---

[1]- ينظر: ضحى الإسلام: 297/2.

[2]- ينظر: في أصول النحو: 215–217.

[3]- مناهج كتب الخلاف النّحوي و مواردها: 13.

[4]- الخلاف النّحوي في معاني الأدوات و إعرابها في كتاب الإنصاف: 7.

[5]- مسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري: 19.

[6]- ينظر: الخلاف بين النحويين:99.